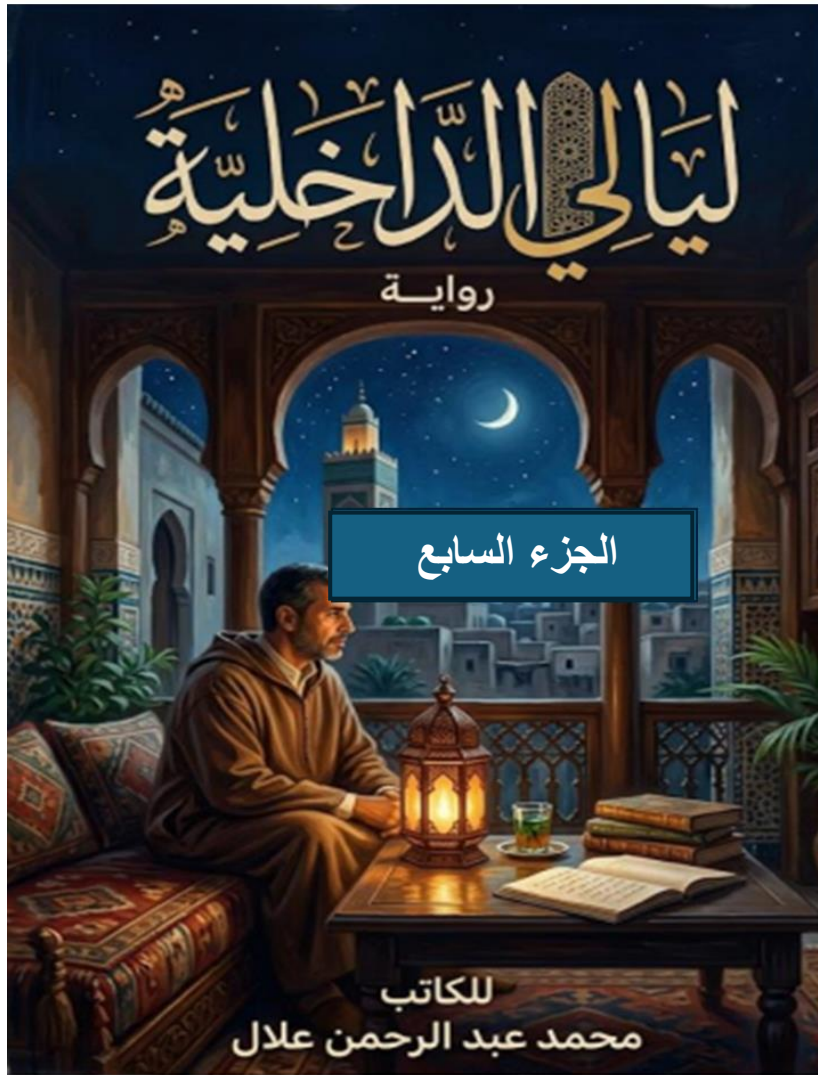


ليالي الداخلية

رواية تتناول حياة الكاتب ورفاقه من الطلبة في الداخلية
من دار الطالب ""بفجيج شرق المملكة المغربية في
السبعينيات من القرن الماضي

تصوير للاحداث و نقل للصور المثيرة داخل فضاء الدار وفي
المدينة منذ وصول الكاتب الى الداخلية 1974 حتى خروجه
منها 1978



بعد عطلة الشتاء الطويلة التي كانت تمتد
لنصف شهر، دخل الطلاب لأول يوم من
أيام الدراسة في العام الجديد ،وبينما هم
في الفصل يدرسون ،دخل عليهم الحارس
العام للثانوية ،دخل يحمل عصا طويلة
غليظة .اخذ مكانه من مكتب الأستاذ ،
بينما تنحى الأستاذ خلف الصف الأخير
من الفصل .تطير الشر من وجه الضيف
وهو ينادي بأسماء مجموعة من الطلاب ،
كان رجلا طويل القامة ،حسن الوجه،
اسود شعر الراس .يلبس جلبابا صوفيا
رقيقا ،حذاءه اسود اللون براقا .خرج
الطلاب واصطفوا حذاءه ينتظرون .نزع
الحارس العام جلبابه .أمسك بعصاه من
جديد وقد غادر مكتب الأستاذ . تقدم اولهم
ليسمع السؤال ""لماذا حصلت على ميزة
مرفوض ؟""لم يكن لدى الطالب ما يبرر
به ما حصل، بل اكتفى بمد يده قبل ان
يطلبها الرجل امامه ، ثم صار يتلقى
الضربة بعد الأخرى حتى بلغت عشرةا .
كانت الضربات تنهال على الكف فؤوسا
حتى بدأت الدموع تهطل دون ان يجد

الطالب فرصة لمسحها .كان صوت انفه مسموعا من ابعد مقعد بالفصل .نودي على البقية بالترتيب حسب نوع الميزة واشبعوا ضربا وبكوا ونفخوا على اكفهم يخفون الألم عنها .انتهت فترة التأديب بالتزام الطلاب المؤدبين بعدم الحصول على تلك الميزة مجددا ،وبانهم سيحفظون ويجتهدون .كان كل ذلك امام الحارس العام .يردد ويرددون خلفه ما التزموا به كأنهم جنود يؤدون قسما .شكر الضيف الأستاذ ثم انصرف . اخفى لبرهة ثم عاد الى الفصل و خاطب الطلاب ""في الاختبار القادم ،من لم يحصل على ميزة حسن او على الأقل مقبول ،فانني ساستدعي ولي امره وسوف اشدد عليه العقاب "" كانت تلك خدعة أراد بها الرجل معرفة مدى تأثر الطلاب بما قدم لهم من هدية . استمر أنين الطلاب المعاقبين من شدة ما نزل بهم .كانوا مطأطي الرؤوس دامعة اعينهم .عاد الأستاذ الى درسه وكان شيئا لم يحدث سوى انه قال ""انه يضربكم من اجل مصلحتكم "" .ما عادوا معه الى درسه .كانوا فقط يئنون ويبكون

تعتصر الحسرة قلوبهم وقد اهينوا امام
اعين الحاضرين، وخصوصا من الفتيات
عند العودة الى دار الطالب ، امتنع
المعاقبون عن تناول وجبة الغذاء لذلك
اليوم ،فالضرب كان قاسيا ، وفكرة
استدعاء أولياء الامور اخطر من ذلك
وأشد وطأً على نفوسهم وقد اقساموا الا
يتكرر معهم الامر مجددا

ما أن يحل اليوم الثاني بعد العشرين من
شهر فبراير من تلك السنوات البعيدة
،السنوات الجميلة ،إلا واخذت الحركة
تدب رويدا رويدا في الثانوية كما في دار
الطالب .تزداد سرعتها مع توالي الأيام
ذلك الشهر الذي تفرد بذلك كل عام .في
في مثل هذا اليوم من كل عام ، تبدأ
الاستعدادات للاحتفال بعيد العرش
المجيد.يسبقها اجتماع للإدارة مع الأساتذة
.لا يدخل أستاذ فصله الا بدأه بالحديث عن
الذكرى المجيدة ؛داعيا الطلاب الى
تحضير الأنشطة او الانخراط فيها .اندفع
الجميع ينظمون اجتماعات وأخرى في
الساحة ،في الأقسام ،في كل مكان من
الثانوية .لا حديث سوى عن إنجاح

الاحتفال .يسطرون البرامج المناسبة للاحتفال .يخططون .يختارون الوقت المناسب للتدريب .خصصت قاعات لتحضير الوسائل ،وأخرى لاجراء التدريب .دعي الجميع الى الابداع والتفنن في وضع اللمسات المثيرة للاستعراض الضخم الذي سيشهده الشارع الكبير بعد أيام من اليوم. كان تيمح ضمن المشاركين. كان الحماس يملأ النفوس. تحولت الثانوية لورش من الحركة الدائبة والاصوات المتعالية .في دار الطالب ، كان سي عزوز مكلفا بإدارة الاحتفال .جند من اجل ذلك طاقات من النزلاء .كانوا فرقا على اجندة كل مجموعة منهم نشاطا معيننا .كان الهلال المعدني على القبة التي تعلو قاعة المطالعة بالدار مرتفعا جدا .كان تيمح يسعى جهده كي يبلغه فيعلق العلم في اعلى نقطة فيه حتى يبدو شامخا يرفرف على انغام هبات نسيم النخلات .يدفعه الهواء القادم من هناك ،من البساتين المزهرة اشجارها يمينة ويسرة في إباء وكبرياء. صاح احد قدماء نزلاء الدار وقد كان مشغولا بوضع لافتة تمجد للعيد على

طول جدار الداخلية الامامي : "انزل انزل،
ستسقط ستسقط ،توقف لا تصعد القبة،
ستنزلق ستنزلق." "" لم يكن تيمح يعير
اهنماما لما يسمع ،بل كان همه ان يشارك
.ان يرى سي عزوز مشاركته فيثني عليه
ولو قليلا .اصبحت الدار مزينة بالاعلام
الوطنية .خلال تلك المدة ،كان الطلاب
يدعون الى موائد خاصة من شهى الاطباق
. في يوم الثالث من مارس من سنته
الثانية بفجيج ،كان الاحتفال كبيرا .كان
الشارع يعج بكل مظاهر الزينة
والانغام، لافتات ورايات واعلام تعانق
التهنئات بالنصر للملك ،تعانق الزغاريد
.شيب بعباءات بيضاء تعلو رؤوسهم
عمامات مذهبة .شباب بكل الوان
المستقبل .نساء يعانقن الاصالاة والتاريخ
سترت اجسادهن بالحايك ""اعبان "" كانت
فرق الماجوريت بذلك الدق العسكري على
الدفوف تهز اركانه .تحبس روعة ايقاعها
انفاسه .تسافر به الى سماء الوطن العالية
يرقص على انغامها فتاخذه الى هنالك
،الى عقب تاريخ الامجاد عبر القرون

كانت الشمس تملو السماء دافئة تبشر
بقوم الربيع .كانت الأشجار قبالة قيادة
فجيج فرحة تبسم خضراء بوريقاتها
الجديدة ..تفرق الجمع وغادر الناس
الشارع في حبور ،يحدوهم امل في مستقبل
مشرق تتحقق فيه كل الامنيات

كان تقييم مستويات الطلاب الدراسية
يعتمد على الاختبارات الدورية .قبل حلول
الاستحقاقات التربوية الأخيرة باسابيع
قليلة ،يطفو الى السطح هوس الطلاب
بالاستعداد لاجتيازها بالحفظ والتدريب
على مختلف التمارين التطبيقية في
الرياضيات والفيزياء والمواد التي تتطلب
ذلك . في دار الطلاب ،ينهمك الطلاب في
التحضير لاختباراتهم على أسرتهم .منهم
من يُسمح له باستعمال قاعة الاكل من
الشبان القدامى ذوي البنيات القوية وممن
هم في اعلى المستويات الدراسية . صعد
من أثر الابتعاد عن الضجيج الى سطح
الدار وحلول الليل ،حيث النسيم العليل
البارد يطفئ حر الصيف القادم .تنافس
الطلاب على بلوغ النجاح بالجد والكد
والمنافسة لحد الغيرة ،والربيع آخذ في

المغادرة. لا مجال للنقل او الغش. فالاستاذ
المراقب يتربص بكل غشاش نقال
والمدير يحاسب كل محتال .

في تلك الليلة من ابريل ،وبينما هم على
سطح الدار، يمسك كل طالب بكتابه او
دفتره ،يستظهر في نفسه أو على احد
الزملاء ما اتقن حفظه ،وفهم كنهه ،بينما
هم كذلك ،هبت ريح قوية باردة انعشت
المكان وجددت فيهم الرغبة في المراجعة
اهتزت لها اجسامهم دفعا ،ورفرفت على
وقع هبوبها ملابسهم .صار الواحد منهم
يجوب السطح ذهابا وإيابا وصوته يرتفع
قليلا قليلا كلما زاد صوت الاخرين
تصاعدا .تراهم بين فينة وأخرى يسألون
بعضهم بعضا ""فين راك واصل ؟شحال
حفظت من درس؟"" قد يجيب الذي سئل
صدقا او كذبا ،لكنهم رغم كل ذلك كانوا
صادقين .تدفعهم الغيرة أو الخوف من
العين الحاسدة الى إخفاء الحقيقة عن
بعضهم البعض .ما من احد منهم يرضى
ان يسبقه زميله في حفظ درس او فهم
مسألة .بينما هم كذلك والمعركة حامية
الوطيس حفظا واستظهارا ،صاح احدهم

""سأسقط ،سأسقط ، لا تدفعني ، لا
تدفعني ، ستكسر عظامي ،انتبه سأموت
"" هرع الجميع الى مكان الصراخ سعيا
وهرولة وجريا يريدون انقاذ ما يمكن
إنقاذه ولم يكن الارتفاع يقل عن اربعة
امتار او اكثر .""نحن نمزح فقط .انا
امازحه فقط .كنا نمزح فحسب""يقول احد
الطلاب وهو يمسك بزميله وقد مال نحو
الحافة ميلا خطيرا .كان السقوط قاب
قوسين او ادنى الى اسطبل طبيب المدينة
.كانت به غزالة ومهرة .كان حوشا واسعا
يملاه قليل من روث .بُعثرت الكتب
واوراق الدفاتر على أرضية السطح أشلاء
تتقاذفها ريح خفيفة تدفعها نحو
المنحدر .أمسك احد الطلاب بزميله يعيده
الى التوازن على أرضية السطح بعد ان
دفع الاخر دفعا .""ستقتله ،ستقتله وتدعي
انك تمزح .وش راك عارف واش راك
دير ؟"يقول المنقذ وقد التفت الى زميله
يؤنبه .""كنا غي نَزَعْفُو ،ونُنا مَالِكُ
إِجِيكَ يَكْرَبُ لَكَ .""يرد الغيور .في لحظة
فارقة ،وفي جناح الظلام الذي كسره شئ
من ضوء مصباح محطة الكهرباء ،انتفض

المنقذ كالثور الهائج ، ثم انقض على زميله
بصفعة دوت على وجهه كالرعد. صار
الغيور يبكي ويتوعد مرددا "والله متبقى
فيك ، حقرتني" وسط ذلك الزحام من
الطلبة الذين هبوا لانهاء الخلاف ، حضر
المراقب بعصاه ، و امر الجميع بالنزول من
السطح . بلغ الامر "سي عزوز" فاصدر
أوامره بعدم الصعود الى السطح مجددا
.كاد ليل المراجعة يفسد بحادث مميت
ربما كانت الغيرة دافعا اليه ، او ربما
كانت كلمة قبيحة من هذا او من ذلك هي
التي اشعلت الشرارة الأولى ، وتطورت
الى رغبة في الانتقام ولو بالقتل ... كان
العيش مع الجماعة ، جماعة الطلاب
المنحدرين من المناطق المجاورة يفرض
التعامل بالثقة وبالاحذر في نفس الآن . لكن
تيمح في تلك الليلة خانته ثقته في بعض
صحابه فجعلوه أضحوكة بين النزلاء
وزرعوا في قلبه الخوف من العقاب . حدث
ان جاءه احدهم وكان يدعى "قاسم" وهو
مستلق على سريره فخاطبه يقول : "اذا
كنت رجلا حقيقيا ، وما اظنك كذلك لانك
لن تقدر على ما سأطلب منك ، اذا كنت

رجلا فانطلق جريا واقفز فوق ذلك السرير
"كان السرير في الجانب الاخر من
القاعة على بعد امتار كثيرة من سرير
تيمح .مسافة تسمح له بالركض والقفز
بأمان .رأه مغطى مغطى ببطانية صوفية
جديدة تغري ..نظر الى قاسم والى
السرير، قدر المسافة ودرس السرعة
والزمن اللازمين لتحقيق المسألة ،وهاهو
ينطلق دون تفكير ولا تقدير للعواقب ،عدا
انه لا يسمح بان يُوصف بغير كلمة
"رجل "" . أعطاه قاسم إشارة البدء
فطفق يجري كالمجنون ،يصعد جسمه الى
أعلى استجابة لنداء الرجولة ، ثم ها هو
ينزل قافزا على السرير بكل ما احتواه
جسده من قوة وثقل.استفاق تيمح من
غفلته ليجد نفسه طريح أرضية الغرفة
الصلبة وقد حطم السرير الخشبي
فتطايرت بعض اخشابه بعيدا . جلس
يشكو من شدة الضربة ؛ينن جراء ما
أصاب فخذه بعد السقوط من ألم . نظر من
حوله ،فاذا بهؤلاء الدهاة الماكرين يكادون
يختنقون ضحكا .يسخرون . منهم من
اسرع ينادي على الحارس الليلي "" وا

حمو ، وا حمو ، رواح راه هرس ناموسية
راه دَكْدَكْهَا"" كانوا يصرخون بصوت
مسموع .رغبوا كل الرغبة في فضح
عملته .في ان يعاقب بشدة .كانت مكيدة
محكمة .حضر ""حمو ""على الفور
وفي يده عصا . ""و.....